

زاد المسير في علم التفسير
ابن الجوزي
سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم
{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * لَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَ لَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ
مُعْرِضُونَ * وَ لَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَ لَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا
عَلَىٰ أَرْوَاهِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَ لَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رُءُوفُونَ * وَ لَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ
صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * لَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ }

سورة المؤمنون مكية في قول الجميع

روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال: لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: { قَدْ أَفْلَحَ
لِلْمُؤْمِنُونَ } إلى عشر آيات، رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه.
وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله
تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده
فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال لها: طوبى لك منزل
الملوك. قال الفراء: قد هاهنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين، ويجوز أن
تكون تقريبا للماضي من الحال، لأن قد تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه
بحكمه، ألا تراهم يقولون: قد قامت الصلاة، قبل حال قيامها؛ فيكون معنى
الآية: إن الفلاح قد حصل لهم وإنهم عليه في الحال. وقرأ أبي بن كعب،
وعكرمة، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف: قد أفلح بضم الألف وكسر
اللام وفتح الحاء على ما لم يسم فاعله. قال الزجاج: ومعنى الآية: قد نال
المؤمنون البقاء الدائم في الخير. ومن قرأ قد أفلح بضم الألف، كان معناه:
أحدها: أنه النظر إلى موضع السجود. روى أبو هريرة قال: كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى: { فَمَنْ ابْتَغَىٰ } أي: طلب { وَرَاءَ ذَلِكَ } أي: سوى الأزواج
والمملوكات { فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } يعني: الجائرين الظالمين، لأنهم قد
تجاوزوا إلى ما لا يحل،
{ وَ لَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ } قرأ ابن كثير: لأمانتهم وهو اسم جنس، والمعنى:
للأمانات التي أئتمنوا عليها، فتارة تكون الأمانة بين العبد وبين ربه، وتارة تكون
بينه وبين جنسه، فعليه مراعاة الكل. وكذلك العهد. ومعنى { رُءُوفُونَ }:

حافظون. قال الزجاج: وأصل الرعي في اللغة: القيام على إصلاح ما يتولاه الراعي من كل شيء.
قوله تعالى: {عَلَى صَلَوَاتِهِمْ} قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: صلواتهم على الجمع. وقرأ حمزة، والكسائي: صلواتهم على التوحيد، وهو اسم جنس. والمحافضة على الصلوات: أداؤها في أوقاتها.
قوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} ذكر السدي عن أشياخه أن الله تعالى يرفع للكفار الجنة، فينظرون إلى بيوتهم فيها لو أنهم أطاعوا، ثم تقسم بين المؤمنين فيرثونهم، فذلك قوله: أولئك هم الوارثون. وقد شرحنا هذا في [الأعراف: 43] عند قوله: {أروثتموها}، وشرحنا معنى الفردوس في [الكهف: 107].

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْقَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا لِعَلَقَةٍ مُّضْغَةً فَخَلَقْنَا لِمُضْغَةٍ عِظْمًا فَكَسَوْنَا لِعِظْمٍ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}

قوله تعالى: {خَالِدُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ} فيه قولان. أحدهما: أنه آدم عليه السلام. وإنما قيل: من سلالة لأنه استل من كل الأرض، هذا مذهب سلمان الفارسي، وابن عباس في رواية، وقتادة. والثاني: أنه ابن آدم، والسلالة: النطفة استلت من الطين، والطين: آدم عليه السلام، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال الزجاج: والسلالة فعالة، وهي القليل مما ينسل، وكل مبني على فعالة يراد به القليل، من ذلك: الفضالة، والنخالة، والقلامه.

قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ} يعني: ابن آدم {نُطْقَةً فِي قَرَارٍ} وهو الرحم {مَّكِينٍ} أي: حريز، قد هيء لاستقراره فيه. وقد شرحنا في سورة [الحج: 5] معنى النطفة والعلقة والمضغة.

قوله تعالى: {فَخَلَقْنَا لِمُضْغَةٍ عِظْمًا} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: عظاما فكسونا العظام على الجمع. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: عظاما فكسونا العظم على التوحيد.
قوله تعالى: {ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْقَةَ عَلَقَةً} وهذه الحالة السابعة. قال علي عليه السلام: لا تكون مؤودة حتى تمر على التارات السبع.
وفي محل هذا الإنشاء قولان.

أحدهما: أنه بطن الأم. ثم في صفة الإنشاء قولان.

أحدهما: أنه نفخ الروح فيه، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والشعبي، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك في آخرين. والثاني: أنه جعله ذكراً أو أنثى، قاله الحسن.

والقول الثاني: أنه بعد خروجه من بطن أمه. ثم في صفة هذا الإنشاء أربعة أقوال.

أحدها: أن ابتداء ذلك الإنشاء أنه استهل، ثم دل على الثدي، وعلم كيف يبسط رجليه إلى أن قعد، إلى أن قام على رجليه، إلى أن مشى، إلى أن فطم، إلى أن بلغ الحلم، إلى أن تقلب في البلاد، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنه استواء الشباب، قاله ابن عمر، ومجاهد.

والثالث: أنه خروج الأسنان والشعر، قاله الضحاك، فقيل له أليس يولد وعلى رأسه الشعر؟ فقال: وأين العانة والإبط؟.

والرابع: أنه إعطاء العقل والفهم، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ} أي: استحق التعظيم والثناء. وقد شرحنا معنى تبارك في [الأعراف: 54] {أَحْسَنُ لِحَالِقِينَ} أي: المصورين والمقدرين.

والخلق في اللغة: التقدير. وجاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وعنده عمر، إلى قوله تعالى: {خَلَقًا آخَرَ}، فقال عمر:

فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد ختمت بما تكلمت به يا ابن الخطاب.

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: {أَحْسَنُ لِحَالِقِينَ} وقوله: {هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ} [فاطر: 3].

فالجواب: أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد، ولا موجد سوى الله، ويكون بمعنى التقدير، كقول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت ويعض القوم يخلق ثم لا يفري

فهذا المراد هاهنا، أن بني آدم قد يصورون ويقدرون ويصنعون الشيء، فالله خير المصورين والمقدرين. وقال الأخفش: الخالقون هاهنا هم الصانعون،

فالله خير الخالقين.

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ} أي: بعد ما ذكر من تمام الخلق {لَمَيِّتُونَ}

عند انقضاء آجالكم. وقرأ أبو رزين العقيلي، وعكرمة، وابن أبي عبيدة: لمائنون بألف. قال الفراء: والعرب تقول لمن لم يموت: إنك مائت عن قليل، وميت، ولا

يقولون للميت الذي قد مات: هذا مائت، إنما يقال في الاستقبال فقط، وكذلك يقال: هذا سيد قومه اليوم، فاذا أخبرت أنه يسودهم عن قليل؛ قلت: هذا سائد

قومه عن قليل، وكذلك هذا شريف القوم، وهذا شارف عن قليل؛ وهذا الباب كله في العربية على ما وصفت لك.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ * وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ * فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَكُهٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيِّغٌ لِلْأَكْلِينَ }

قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ} يعني: السموات السبع، قال الزجاج: كل واحدة طريقة. وقال ابن قتيبة: إنما سميت طرائق بالتطارق، لأن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت الشيء: إذا جعلت بعضه فوق بعض. قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} فيه ثلاثة أقوال. أحدها: ما غفلنا عنهم إذ بنينا فوقهم سماءً أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب.

والثاني: ما كنا تاركين لهم بغير رزق، فأنزلنا المطر. والثالث: لم نغفل عن حفظهم من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم. قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ} يعلمه الله، وقال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة.

قوله تعالى: {وَشَجَرَةً} هي معطوفة على قوله: {جَنَّتٍ}. وقرأ أبو مجلز، وابن يعمر، وإبراهيم النخعي: وشجرة بالرفع. والمراد بهذه الشجرة: شجرة الزيتون.

فإن قيل: لماذا خص هذه الشجرة من بين الشجر؟ فالجواب من أربعة أوجه.

أحدها: لكثرة انتفاعهم بها، فذكرهم من نعمه ما يعرفون، وكذلك خص النخيل والأعناب في الآية الأولى، لأنها كانا جل ثمار الحجاز وماوالاها، وكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف.

والثاني: لأنهم لا يكادون يتعاهدونها بالسقي، وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن.

والثالث: أنها تنبت بالماء الذي هو ضد النار، وفي ثمرتها حياة للنار ومادة لها. والرابع: لأن أول زيتونة نبتت بذلك المكان فيما زعم مقاتل.

قوله تعالى: {طُورِ سَيْنَاءَ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: طور سيناء مكسورة السين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، مفتوحة السين، وكلهم مدها. قال الفراء: العرب تقول: سيناء، بفتح السين في جميع اللغات، إلا بني كنانة،

فإنهم يكسرون السين. قال أبو علي: ولا تنصرف هذه الكلمة، لأنها جعلت اسماً لبقعة أو أرض، وكذلك سينين، ولو جعلت اسماً للمكان أو للمنزل أو نحو ذلك من الأسماء المذكرة لصرفت، لأنك كنت قد سميت مذكراً بمذكر. والطور: الجبل.

وفي معنى سيناء خمسة أقوال.

أحدها: أنه بمعنى الحسن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال الضحاك: الطور: الجبل بالسريانية، وسيناء: الحسن بالنبطية. وقال عطاء: يريد الجبل الحسن.

والثاني: أنه المبارك، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: أنه اسم حجارة بعينها، أضيف الجبل إليها لوجودها عنده، قاله مجاهد. والرابع: أن طور سيناء: الجبل المشجر، قاله ابن السائب.

والخامس: أن سيناء: اسم المكان الذي به هذا الجبل، قاله الزجاج؛ قال الواحدي: وهو أصح الأقوال؛ قال ابن زيد: وهذا هو الجبل الذي نودي منه موسى، وهو بين مصر وأيلة.

قوله تعالى: { تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ } قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: تنبت برفع التاء وكسر الباء. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بفتح التاء وضم الباء. قال الفراء: وهما لغتان: نبتت، وأنبتت، وكذلك قال الزجاج: نبت الشجر وأنبت في معنى واحد، قال زهير:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل

قال: ومعنى تنبت بالدهن: تنبت ومعها دهن، كما تقول: جاءني زيد بالسيف، أي: جاءني ومعه السيف. وقال أبو عبيدة: معنى الآية: تنبت الدهن، والباء زائدة، كقوله: { وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ } [الحج: 25] وقد بينا هذا المعنى هناك.

قوله تعالى: { وَصَبَّغُ } وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، وإبراهيم النخعي، والأعمش: وصبغاً بال نصب. وقرأ ابن السميع: وصباغ بألف مع الخفض. قال ابن قتيبة: الصبغ مثل الصباغ، كما يقال صبغ ودباغ، ولبس ولباس. قال المفسرون: والمراد بالصبغ هاهنا: الزيت لأنه يلون الخبز إذا غمس فيه، والمراد أنه إدام يصبغ به.

{ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ }

قوله تعالى: { وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمُ مِنْهَا وَأَبُو عَمْرٍو، وَحَمْرَةَ، والكسائي، وحفص عن عاصم: بضمها. وقد شرحنا هذا في [النحل: 66] إلى قوله تعالى: { وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ } يعني: في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها { وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } من لحومها وأولادها والكسب عليها. قوله تعالى: { وَعَلَيْهَا } يعني الإبل خاصة { وَعَلَى لِفْلِكٍ تُحْمَلُونَ } فالإبل تحمل في البر، والسفن تحمل في البحر.

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يٰقَوْمِ عٰبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ لِمَلَأُوا لِي دِينِي كَفَرُوا مِنْ قَوْمِي مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُبِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهٖ حِنَّةٌ فِتْرَتَبَّصُوا بِهٖ حَتَّىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي * فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ طَبِّعْ لِفْلِكٍ لِّبَاعِ غَيْرِنَا وَوَحَيْنَا قَادًا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ وَ سَلَكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ جِثِينَ أَنْتِنَ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ لِقَوْلٍ مِنْهُمْ وَلَا تُجَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ * قَادًا سَبَّوْتِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى لِفْلِكٍ فَعَلَّ لَحْمُدٌ لِلَّهِ لِيذِي نَجَاتًا مِنْ لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقَالَ رَبِّ انزِلْنِي مُنْزِلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ * ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ عٰبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ لِمَلَأُوا لِي دِينِي كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَاتَّرفَتْهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ * أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مَحْرُجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُنُودًا فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ }
قوله تعالى:

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ } قال المفسرون: هذا تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر هذا الرسول الصابر ليتأسى به في صبره، وليعلم أن الرسل قبله قد كذبوا.

قوله تعالى: { يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ } أي: يعلوكم بالفضيلة، فيصير متبوعاً، { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ } أن لا يعبد شيء سواه { لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً } تبلغ عنه أمره، لم يرسل بيشرا { مَا يَسْمِعُنَا بِهِدَا } الذي يدعونا إليه نوح من التوحيد { فَقَالَ لِمَلَأُوا لِدِينٍ } فأمّا الجنة فمعناها: الجنون.
وفي قوله: { حَتَّىٰ جِئَ } قولان.

أحدهما: أنه الموت، فتقديره: انتظروا موته.
والثاني: أنه وقت منكر.

قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ انصُرْنِي } وقرأ عكرمة، وابن محيصن: قال رب بضم الباء، وفي القصة الأخرى [المؤمنون: 39].

قوله تعالى: { يَمَّا كَذَّبُونا } وقرأ يعقوب: كذبوني بياء، وفي القصة التي تليها أيضاً: { فاتقوني } [المؤمنون: 52] { ءان } [المؤمنون: 98] { رَبِّ } [المؤمنون: 99] { وَلَا } [المؤمنون: 108] أثبتهن في الحاليين يعقوب، والمعنى: انصُرني بتكذيبهم، أي: انصُرني بإهلاكهم جزاءً لهم بتكذيبهم.

{ كَذَّبُونا فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ } قد شرحناه في [هود: 37] إلى قوله: { وَ سَلِّكْ فِيهَا } أي: أدخل في سفينتك { مِنْ كُلِّ رَوْحَيْنِ أُتَيْنِ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: من كل بكسر اللام من غير تنوين. وقرأ حفص عن عاصم من كل بالتنوين. قال أبو علي: قراءة الجمهور إضافة كل إلى زوجين، وقراءة حفص تؤول إلى زوجين، لأن المعنى: من كل الأزواج زوجين.

قوله تعالى: { وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنْزَلاً } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: منزلاً بضم الميم. وروى أبو بكر عن عاصم: فتحها. والمنزل، بفتح الميم: اسم لكل ما نزلت به، والمنزل، بضمها: المصدر بمعنى الإنزال؛ تقول أنزلته إنزالاً ومنزلاً.
وفي الوقت الذي قال فيه نوح ذاك قولان.

أحدهما: عند نزوله في السفينة.
والثاني: عند نزوله من السفينة.

قوله تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ } أي: في قصة نوح وقومه { لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا } أي: وما كنا { لَمُبْتَلِينَ } أي: لمختبرين إياهم بإرسال نوح إليهم. { ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءآخَرِينَ } يعني:

عادة { فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ } وهو هود، هذا قول الأكثرين؛ وقال أبو سليمان الدمشقي: هم ثمود، والرسول صالح. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: { أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ } قال الزجاج: موضع أنكم نصب على معنى: أيعدكم أنكم

مخرجون إذا متم، فلما طال الكلام أعيد ذكر أن كقوله: { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُخَادِرُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ } [التوبة: 63].
قوله تعالى: { هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ } قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: هيهات هيهات بفتح التاء فيهما في الوصل، وإسكانها في الوقف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وهارون، عن أبي عمرو: هيهات هيهات بالنصب والتنوين. وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري، وأبو حيوة الحضرمي، وابن السميع: هيهات هيهات بالرفع والتنوين. وقرأ أبو العالية، وقتادة: هيهات هيهات بالخفض والتنوين. وقرأ أبو جعفر: هيهات هيهات بالخفض من غير تنوين، وكان يقف بالهاء. وقرأ أبو المتوكّل الناجي، وسعيد بن جبير، وعكرمة: هيهات هيهات بالرفع من غير تنوين، وقرأ معاذ القاري، وابن يعمر، وأبو رجاء، وخارجة عن أبي عمرو: هيهات هيهات بإسكان التاء فيهما. وفي هيهات عشر لغات قد ذكرنا منها سبعة عن القراء، والثامنة: إيهات، والتاسعة: إيهان بالنون، والعاشر: إيهان بغير نون، ذكرهن ابن القاسم؛ وأنشد الأحوص في الجمع بين لغتين منهن:
تذكر أياما مضين من الصبا وهيهات هيهاتا إليك رجوعها

قال الزجاج: فأما الفتح، فالوقف فيه بالهاء، تقول: هيهاه إذا فتحت ووقفت بعد الفتح، فإذا كسرت ووقفت على التاء كنت ممن ينون في الوصل، أو كنت ممن لا ينون. وتأويل هيهات: البعد لما توعدون. وإذا قلت: هيهات ما قلت، فمعناه: بعيد ما قلت. وإذا قلت: هيهات لما قلت، فمعناه: البعد لما قلت. ويقال: إيهات في معنى هيهات، وأنشدوا:
إيهات إيهات العقيق ومن به وإيهات وصل بالعقيق نواصله

قال أبو عمرو بن العلاء: إذا وقفت على هيهات فقل: هيهاه. وقال الفراء: الكسائي يختار الوقف بالهاء، وأنا اختار التاء.
قوله تعالى: { لِمَا تُوعَدُونَ } قرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: ما توعدون بغير لام. قال المفسرون: استبعد القوم بعثهم بعد الموت إغفالاً منهم للتفكير في بدو أمرهم وقدرة الله على إيجادهم،
وأرادوا بهذا الاستبعاد أنه لا يكون أبداً، { إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا لَدُنِّيَا } يعنون: ما الحياة إلا ما نحن فيه، وليس بعد الموت حياة.
فان قيل: كيف قالوا: { تَمُوتُ وَتَحْيَا } وهم لا يقرون بالبعث؟
فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها الزجاج.

أحدها: نموت ويحيا أولادنا، فكأنهم قالوا: يموت قوم ويحيا قوم.
والثاني: نحيا ونموت، لأن الواو للجمع، لا للترتيب.
والثالث: أبتداؤنا موات في أصل الخلقة، ثم نحيا، ثم نموت.
قوله تعالى: {إِنَّ هُوَ} يعنون الرسول. وقد سبق تفسير ما بعد هذا [هود 7،
النحل 38] إلى قوله: {قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ} قال الزجاج: معناه: عن قليل، وما
زائدة بمعنى التوكيد.
قوله تعالى: {لِيُضِخُنَّ تَدْمِينَ} أي: على كفرهم، {فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ}
{ أي: باستحقاقهم العذاب بكفرهم. قال المفسرون: صاح بهم جبريل صيحة
رجفت لها الأرض من تحتهم، فصاروا لشدتها غثاء. قال أبو عبيدة: الغثاء ما
أشبه الزبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به في شيء. وقال
ابن قتيبة: المعنى: فجعلناهم هلكى كالغثاء، وهو ما علا السيل من الزبد
والقمش، لأنه يذهب ويتفرق. وقال الزجاج: الغثاء: الهالك والبالى من ورق
الشجر الذي إذا جرى السيل رأيت مخالطاً زبده. وما بعد هذا قد سبق شرحه
[الحجر 5] إلى قوله تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى} قرأ ابن كثير، وأبو
عمرو، وأبو جعفر: تتري كلما منونة والوقف بالألف. وقرأ نافع، وابن عامر،
وعاصم، وحمزة، والكسائي: بلا تنوين، والوقف عند نافع، وابن عامر بألف.
وروى هبيرة، وحفص عن عاصم، أنه يقف بالياء؛ قال أبو علي: يعني بقوله:
يقف بالياء، أي: بألف مماله. قال الفراء: أكثر العرب على ترك التنوين، ومنهم
من نون، قال ابن قتيبة: والمعنى: نتابع بفترة بين كل رسولين، وهو من
التواتر، والأصل: وتري، فقبلت الواو تاء كما قلبوها في التقوى والتخمة.
وحكى الزجاج عن الأصمعي أنه قال: معنى واترت الخبر: اتبعت بعضه بعضاً،
وبين الخبرين هنية. وقرات على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: ومما تضعه
العامية غير موضعه قولهم: تواترت كتبي إليك، يعنون: اتصلت من غير انقطاع،
فيضعون التواتر في موضع الاتصال، وذلك غلط إنما التواتر مجيء الشيء ثم
انقطاعه ثم مجيئه، وهو التفاعل من الوتر، وهو الفرد، يقال: واترت الخبر،
أتبعت بعضه بعضاً، وبين الخبرين هنية، قال الله تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
تَتْرَى} أصلها وتري من المواترة،
فأبدلت التاء من الواو، ومعناه: منقطعة متفاوتة، لأن بين كل نبين دهرًا
طويلاً. وقال أبو هريرة: لا بأس بقضاء رمضان تتري، أي: منقطعاً. فإذا قيل:
واتر فلان كتبه، فالمعنى: تابعها، وبين كل كتابين فترة.

قوله تعالى: { فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا } أي: أهلكنا الأمم بعضهم في إثر بعض { وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ } قال أبو عبيدة: أي: يتمثل بهم في الشر؛ ولا يقال في الخير: جعلته حديثاً.

{ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَ اسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عٰلِينَ * فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ * فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ لَمُهْلَكِينَ } قوله تعالى: { فَ اسْتَكْبَرُوا } أي: عن الإيمان بالله وعبادته { وَكَانُوا قَوْمًا عٰلِينَ } أي: قاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم.

قوله تعالى: { وَقَوْمُهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ } أي: مطيعون. قال أبو عبيدة: كل من دان لملك فهو عابد له.

{ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ لِكِتَابٍ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا بَنِي مَرْيَمَ وَآمَّهُ ءَايَةً وَءَاوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ } قوله تعالى: { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ لِكِتَابٍ } يعني: التوراة، أعطيتها جملة واحدة بعد غرق فرعون { لَعَلَّهُمْ } يعني: بني اسرائيل، والمعنى: لكي يهتدوا.

قوله تعالى: { وَجَعَلْنَا بَنِي مَرْيَمَ وَآمَّهُ ءَايَةً } وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله: آيتين على التثنية، وهذا كقوله: { وَجَعَلْنَاهَا وَبَنِيهَا ءَايَةً } [الانبياء: 91] وقد سبق شرحه.

قوله تعالى: { وَءَاوَيْنَاهُمَا } أي: جعلناهما بأويان { إِلَىٰ رَبْوَةٍ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ربوة بضم الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتحها. وقد شرحنا معنى الربوة في [البقرة 265] { ذَاتِ قَرَارٍ } أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها، والمعنى: ذات موضع قرار. وقال الزجاج: أي: ذات مستقر { وَمَعِينٍ } وهو الماء الجاري من العيون. وقال ابن قتيبة: ذات قرار أي: يستقر بها للعمارة، ومعين هو الماء الظاهر، ويقال: هو مفعول من العين، كأن أصله معيون، كما يقال: ثوب مخيط، وبر مكيل.

واختلف المفسرون في موضع هذه الربوة الموصوفة على أربعة أقوال. أحدها: أنها دمشق، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عبد الله بن سلام، وسعيد بن المسيب.

والثاني: أنها بيت المقدس، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وعن الحسن كالقولين.

والثالث: أنها الرملة من أرض فلسطين، قاله أبو هريرة.

والرابع: مصر، قاله وهب بن منبه، وابن زيد، وابن السائب.

فأما السبب الذي لأجله أويا إلى الربوة، فقال أبو صالح عن ابن عباس: فرت مريم بابنها عيسى من ملكهم، ثم رجعت إلى أهلها بعد اثنتي عشرة سنة. قال وهب بن منبه: وكان الملك أراد قتل عيسى.

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَيْحَسِبُونَ أَنَّ مَا تَمَدَّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ }

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة في آخرين: يعني بالرسول هاهنا محمداً صلى الله عليه وسلم وحده، وهو مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجميع، ويتضمن هذا أن الرسول جميعاً كذا أمروا، وإلى هذا المعنى ذهب ابن قتيبة، والزجاج، والمراد بالطيبات: الحلال. قال عمرو بن شرحبيل: كان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه. قوله تعالى: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: وأن بالفتح وتشديد النون. وافق ابن عامر في فتح الألف، لكنه سكن النون. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: وإن بكسر الألف وتشديد النون. قال الفراء: من فتح، عطف على قوله: إني بما تعملون عليم وبأن هذه أمتكم، فموضعها خفص لأنها مردودة على ما؛ وإن شئت كانت منصوبة بفعل مضمر، كأنك قلت: واعلموا هذا؛ ومن كسر استأنف. قال أبو علي الفارسي: وأما ابن عامر، فإنه خفف النون المشددة، وإذا خففت تعلق بها ما يتعلق بالمشددة. وقد شرحنا معنى الآية والتي بعدها في [الانبياء 92] إلى قوله زبرا وقرأ ابن عباس، وأبو عمران الجوني: زبرا برفع الزاي وفتح الباء. وقرأ أبو الجوزاء، وابن السميع: زبرا برفع الزاي وإسكان الباء. قال الزجاج: من قرأ زبرا بضم الباء، فتأويله: جعلوا دينهم كتباً مختلفة، جمع زبور. ومن قرأ زبرا بفتح الباء، أراد قطعاً. قوله تعالى: {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} أي: بما عندهم من الدين الذي ابتدعوه معجبون، يرون أنهم على الحق.

وفي المشار إليهم قولان.

أحدهما: أنهم أهل الكتاب، قاله مجاهد.

والثاني: أنهم أهل الكتاب ومشركو العرب، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: {فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ} وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب: في غمراتهم على الجمع.

قال الزجاج: في عمايتهم وحيرتهم، {حَتَّىٰ حِينٍ} أي: إلى حين يأتيهم ما وعدوا به من العذاب. قال مقاتل: يعني كفار مكة.

فصل

وهل هذه الآية منسوخة، أم لا؟ فيها قولان.
أحدهما: أنها منسوخة بآية السيف.

والثاني: أن معناها التهديد، فهي محكمة.

قوله تعالى: { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ } وقرأ عكرمة، وأبو الجوزاء: يمدهم بالياء المرفوعة وكسر الميم. وقرأ أبو عمران الجوني: نمدهم بنون مفتوحة ورفع الميم. قال الزجاج: المعنى: أيحسبون أن الذي نمدهم به { مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ } مجازاة لهم؟ إنما هو استدراج، { تُسَارِعُ لَهُمْ فِي لِحْيَتِ } أي: نسارع لهم به في الخيرات. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وأيوب السخيتاني: يسارع بياء مرفوعة وكسر الراء. وقرأ معاذ القاريء، وأبو المتوكل مثله، إلا أنهما فتحا الراء. وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري، وابن السميغ: يسرع بياء مرفوعة وسكون السين ونصب الراء من غير ألف.

قوله تعالى: { بَلْ لَا يَشْعُرُونَ } أي: لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم.

{ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ *
وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى
رَبِّهِمْ رُجْعُونَ * أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي لِحْيَتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ }

ثم ذكر المؤمنين فقال: { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ حَشِيَّةِ * مِنْ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ } وقد

شرحنا هذا المعنى في قوله: { وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ } [الانبياء: 28].

قوله تعالى: { وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا } وقرأ عاصم الجحدري: يأتون ما أتوا بقصر همزة أتوا. وسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقالت: يا رسول الله، أهم الذين يذنبون وهم مشفقون؟ فقال: لا بل هم

الذين يصلون وهم مشفقون، ويصومون وهم مشفقون، ويتصدقون وهم

مشفقون أن لا يتقبل منهم. قال الزجاج: فمعنى يؤتون: يعطون ما أعطوا

وهم يخافون أن لا يتقبل منهم، { أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رُجْعُونَ } أي: لأنهم يوقنون

أنهم يرجعون. ومعنى يأتون: يعملون الخيرات وقلوبهم خائفة أن يكونوا مع

اجتهادهم مقصرين، { أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي لِحْيَتِ } وقرأ أبو المتوكل، وابن

السميغ: يسرعون برفع الياء وإسكان السين وكسر الراء من غير ألف. قال

الزجاج: يقال: أسرعت وسارعت في معنى واحد، إلا أن سارعت أبلغ من

أسرعت، { وَهُمْ لَهَا } أي: من أجلها، وهذا كما تقول: أنا أكرم فلانا لك، أي:

من أجلك. وقال بعض أهل العلم: الوجل المذكور هاهنا واقع علي مضمرة.

{ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * بَلْ
قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ * حَتَّىٰ إِذَا

أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا لِيَوْمِ إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ *
قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ
سَمِيرًا تَهْجُرُونَ {

قوله تعالى: {وَلَدَيْتَا كِتَابٌ} يعني: اللوح المحفوظ {يَنْطِقُ بِالْحَقِّ} قد أثبت فيه أعمال الخلق، فهو ينطق بما يعملون {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} أي: لا ينقصون من ثواب أعمالهم. ثم عاد إلى الكفار، فقال: {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا} قال مقاتل: في غفلة عن الإيمان بالقرآن. وقال ابن جرير: في عمى عن هذا القرآن. قال الزجاج: يجوز أن يكون إشارة إلى ما وصف من أعمال البر في قوله: {أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي لِحْيَتِهِمْ} فيكون المعنى: بل قلوب هؤلاء في عمية من هذا، ويجوز أن يكون إشارة إلى الكتاب، فيكون المعنى: بل قلوبهم في غمرة من الكتاب الذي ينطق بالحق وأعمالهم محصاة فيه. فخرج في المشار إليه ب {هَذَا} ثلاثة أقوال. أحدها: القرآن.

والثاني: أعمال البر.

والثالث: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: {وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ} فيه أربعة أقوال.

أحدها: أعمال سيئة دون الشرك، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: خطايا سيئة من دون ذلك الحق، قاله مجاهد. وقال ابن جرير: من

دون أعمال المؤمنين وأهل التقوى والخشية.

والثالث: أعمال غير الأعمال التي ذكروا بها سيعملونها، قاله الزجاج.

والرابع: أعمال من قبل الحين الذي قدر الله تعالى أنه يعذبهم عند مجيئه من

المعاصي، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: {هُمْ لَهَا عَمَلُونَ} إخبار بما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي

كتبت عليهم لا بد لهم من عملها.

قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ} أي: أغنياءهم ورؤساءهم، والإشارة

إلى قريش. وفي المراد بالعذاب قولان.

أحدهما: ضرب السيوف يوم بدر،

قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك.

والثاني: الجوع الذي عذبوا به سبع سنين، قاله ابن السائب. و{يَجْأَرُونَ} {

بمعنى: يصيحون. {لَا تَجْأَرُوا لِيَوْمِ} أي: لا تستغيثوا من العذاب {إِنَّكُمْ مِّنَّا

لَا تُنصَرُونَ} أي: لا تمنعون من عذابنا {قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ} يعني:

القرآن {فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ} أي: ترجعون وتتأخرون عن الإيمان

بها. { مُسْتَكْبِرِينَ } منصوب على الحال. وقوله: { بِهِ } الكناية عن البيت الحرام، وهي كناية عن غير مذكور؛ والمعنى: إنكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت والحرم، لأمنكم فيه مع خوف سائر الناس في مواطنهم. تقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف أحداً. ونحن أهل بيت الله وولاته، هذا مذهب ابن عباس وغيره. قال الزجاج: ويجوز أن تكون الهاء في به للكتاب، فيكون المعنى: تحدث لكم تلاوته عليكم استكباراً.

قوله تعالى: { سَمِيراً } قال أبو عبيدة: معناه: تهجرون سمارة، والسمامر بمعنى السمار، بمنزلة طفل في موضع أطفال، وهو من سمر الليل. وقال ابن قتيبة: سامرا أي: متحدثين ليلاً، والسمر حديث الليل. وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وابن محيصن: سمرا بضم السين وتشديد الميم وفتحها، جمع سامر. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: سمارة برفع السين تشديد الميم وألف بعدها.

قوله تعالى: { تَهْجُرُونَ } قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: تهجرون بفتح التاء وضم الجيم. وفي معناها أربعة أقوال. أحدها: تهجرون ذكر الله والحق، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: تهجرون كتاب الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم، قاله الحسن. والثالث: تهجرون البيت، قاله أبو صالح. وقال سعيد بن جبیر: كانت قریش تسمر حول البيت، وتفتخر به ولا تطوف به.

والرابع: تقولون هجرا من القول، وهو اللغو والهذيان، قاله ابن قتيبة. قال الفراء: يقال قد هجر الرجل في منامه: إذا هذى، والمعنى: إنكم تقولون في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس فيه وما لا يضره. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبیر، وقتادة، وابن محيصن، ونافع: تهجرون بضم التاء وكسر الجيم. قال ابن قتيبة: وهذا من الهجر، وهو السب والإفحاش من المنطق، يريد سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه. وقرأ أبو العالية، وعكرمة، وعاصم الجحدري، وأبو نهيك: تهجرون بتشديد الجيم ورفع التاء؛ قال ابن الأنباري: ومعناها معنى قراءة ابن عباس.

{ أَقْلَمَ يَدَبَّرُوا لِقَوْلِ أَمْ جَاءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَكَانَتْ كَرَهُونَ }

قوله تعالى: { أَقْلَمَ يَدَبَّرُوا لِقَوْلِ } يعني: المقرآن فيعرفوا ما فيه من الدلالات والعبر على صدق رسولهم { أَمْ جَاءَهُمْ لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ } المعنى: أليس قد أرسل الأنبياء إلى أممهم كما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم؟

{ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ } هذا توبيخ لهم، لأنهم عرفوا نسبه وصدقته وأمانته صغيرا وكبيرا ثم أعرضوا عنه. الجنة: الجنون، { بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ } يعني القرآن.

{ وَلَوْ اتَّبَعَ لِحَقِّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }

قوله تعالى: { وَلَوْ اتَّبَعَ لِحَقِّ أَهْوَاءَهُمْ } في المراد بالحق قولان. أحدهما: أنه الله عز وجل، قاله مجاهد، وابن جريج، والسدي في آخرين. والثاني: أنه القرآن، ذكره الفراء، والزجاج. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو جعل الله لنفسه شريكا كما يحبون. وعلى الثاني: لو نزل القرآن بما يحبون من جعل شريك لله { لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ } أي: بما فيه شرفهم وفخرهم، وهو القرآن { فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ } أي: قد تولوا عما جاءهم من شرف الدنيا والآخرة. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون بألف فيهما. { أَمْ تَسْأَلُهُمْ } عما جئتهم به { خَرْجًا } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: خرجا بغير ألف فخارج بألف. وقرأ ابن عامر: خرجا بغير ألف في الحرفين. وقرأ حمزة، والكسائي: خرجا بألف فخارج بألف في الحرفين. ومعنى خرجا أجرا ومالاً { فَخَرَجَ رَبُّكَ } أي: فما يعطيك ربك من أجره وثوابه { خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ } أي: أفضل من أعطى؛ وهذا على سبيل التنبيه لهم أنه لم يسألهم أجرا، لأنه قد سألهم والناكب: العادل؛ يقال: نكب عن الطريق، أي: عدل عنه.

{ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّوْتِ لَنَكِبُونَ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودِ فِي طُعْنِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا يَتَّكِنُونَ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ }

قوله تعالى: { وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ } قال ابن عباس: الضر هاهنا: الجوع الذي نزل بأهل مكة حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم أعني على قريش بسنين كسني يوسف، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الضر، وأنهم قد أكلوا القدام والعظام، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، وهو العذاب المذكور في قوله: { وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ }.

قوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه يوم بدر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
والثاني: أنه الجوع الذي أصابهم، قاله مقاتل.
والثالث: باب من عذاب جهنم في الآخرة، حكاه الماوردي.
قوله تعالى: { إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ } وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو
المتوكل، وأبو نهيك، ومعاذ القاريء: مبلسون بفتح اللام. وقد شرحنا معنى
المبلس في [الأنعام: 45].

{ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْإَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَهُوَ الَّذِي
ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي يُخَيِّ وَيُمِيتُ وَلَهُ خُتِلَفُ لَيْلٍ
وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظْمًا أَغْنَىٰ لَنَا لَمْبَعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا
أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }

قوله تعالى: { قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } قال المفسرون: يريد أنهم لا يشكرون
أصلاً.

قوله تعالى: { ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ } أي: خلقكم من الأرض.
قوله تعالى: { وَلَهُ خُتِلَفُ لَيْلٍ وَالنَّهَارِ } أي: هو الذي جعلهما مختلفين
يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض { أَفَلَا تَعْقِلُونَ } ما ترون من صنعه؟
وما بعد هذا ظاهر إلى قوله { قُلْ لَمَنِ الْأَرْضُ } أي: قل لأهل مكة المكذبين
بالبعث: لمن الأرض { وَمَن فِيهَا } من الخلق { إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } بحالها،
{ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ } قرأ أبو عمرو: لله بغير ألف هاهنا، وفي اللذين بعدها بألف.
وقرأ الباقر: لله في المواضع الثلاثة. وقرأه أبي عمرو على القياس. قال
الزجاج: ومن قرأ: سيقولون الله فهو جواب السؤال، ومن قرأ لله فجيد أيضاً
لأنك إذا قلت: من صاحب هذا الدار؟ فقول: لزيد، جاز، لأن معنى من صاحب
هذه الدار؟ لمن هي؟ وقال أبو علي الفارسي: من قرأ لله في الموضعين
الآخرين، فقد أجاب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ. وقرأ سعيد بن جبير،
وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: سيقولون الله الله بألف فيهن كلهن. قال أبو
علي الأهوازي: وهو في مصاحف أهل البصرة بألف فيهن.
قوله تعالى: { قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداءً،

أقدر على إحياء الأموات؟
{ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ عَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا
تَتَّقُونَ * قُلْ مَن يَدِينُهُ مَلِكُوتٌ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ يُخَيِّرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنىٰ تُسْحَرُونَ }

قوله تعالى: { أَفَلَا تَتَّقُونَ } فيه قولان.

أحدهما: تتقون عبادة غيره.

والثاني: تخشون عذابه. فأما الملكوت، فقد شرحناه في [الأنعام: 75].

قوله تعالى: { وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ } أي: يمنع من السوء من شاء، ولا يمنع منه من أراد به سوء، يقال: أجرت فلانا: أي: حميته، وأجرت عليه: أي: حميت عنه.

قوله تعالى: { فَأَتَى تُسْحَرُونَ } قال ابن قتيبة: أنى تخذعون وتصرفون عن هذا؟

{ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * عِلْمِ لُغَيْبٍ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ }

قوله تعالى: { بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ } أي: بالتوحيد والقرآن { وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } فيما يضيفون إلى الله من الولد والشريك؛ ثم نفاهما عنه بما بعد هذا إلى قوله { إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ } أي: لانفرد بخلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره، ولمنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق { وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ } أي: غلب بعضهم بعضا.

قوله تعالى: { عِلْمِ لُغَيْبٍ } قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: عالم بالخفص. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: عالم بالرفع. قال الاخفش: الجر أجود، ليكون الكلام من وجه واحد، والرفع على أن يكون خبر ابتداء محذوف، ويقويه أن الكلام الأول قد انقطع.

{ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا يَعْدُهُمْ لَقَادِرُونَ * لُفِّعْ بِلَتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ }

قوله تعالى: { إِمَّا تُرِيدُنِي } وقرأ أبو عمران الجوني، والضحاك، ترثني بالهمز بين الراء والنون من غير ياء. والمعنى: إن أرثني ما يوعدون من القتل والعذاب، فاجعني خارجا عنهم ولا تهلكني بهلاكهم؛ فأراه الله تعالى ما وعدهم بدير وغيرها، ونجاه وهم معه.

قوله تعالى: { لُفِّعْ بِلَتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ } فيه أربعة أقوال.

أحدها: ادفع إساءة المسيء بالصفح، قاله الحسن.

والثاني: ادفع الفحش بالسلام، قاله عطاء، والضحاك.

والثالث: ادفع الشرك بالتوحيد، قاله ابن السائب.
والرابع: ادفع المنكر بالموعظة، حكاه الماوردي. وذكر بعض المفسرين أن هذا منسوخ بأية السيف.
قوله تعالى: { تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ } أي: بما يقولون من الشرك والتكذيب؛ والمعنى إنا نجازيهم على ذلك. { وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ } أي: ألجأ وامتنع { بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ } قال ابن قتيبة: هو نخسها وطعنها، ومنه قيل للعائب: همزة، كأنه يطعن وينخس إذا عاب. وقال ابن فارس: الهمز كالعصر، يقال: همزت الشيء في كفي، ومنه الهمز في الكلام، لأنه كأنه يضغط الحرف، وقال غيره: الهمز في اللغة: الدفع، وهمزات الشياطين: دفعهم بالإغواء إلى المعاصي.

قوله تعالى: { أَنْ يَخْضُرُونَ } أي: أن يشهدون؛ والمعنى: أن يصيبوني بسوء، لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم إلا بسوء. هم ثم أخبر أن هؤلاء الكفار المنكرين للبعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند الموت بالآية التي تلي هذه، وقيل: هذا السؤال منهم للملائكة الذين يقبضون أرواحهم.

فإن قيل: كيف قال: أرجعون وهو يريد: أرجعني؟
فالجواب: أن هذا اللفظ تعرفه العرب للعظيم الشأن، وذلك أنه يخبر عن نفسه فيه بما تخبر به الجماعة، كقوله: { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ } [ق: 43] فجاء خطابه كإخباره عن نفسه، هذا قول الزجاج.

{ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلَّيَّ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ }

قوله تعالى: { لَعَلَّيَّ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ } قال ابن عباس: فيما مضى من عمري. وقال مقاتل: فيما تركت من العمل الصالح.

قوله تعالى: { كَلَّا } أي: لا يرجع إلى الدنيا { أَنَّهَا } يعني مسألته الرجعة { كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا } أي: هو كلام لا فائدة له فيه { وَمِنْ وَرَائِهِمْ } أي: أمامهم وبين أيديهم { بَرْزَخٌ } قال ابن قتيبة: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، وكل شيء بين موت الميت وبعثه.

قوله تعالى: { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ } في هذه النفخة قولان. أحدهما: أنها النفخة الأولى، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

والثاني: أنها الثانية، رواه عطاء عن ابن عباس.
قوله تعالى: { فَلَا أَنْسَبَ بَيْنَهُمْ } في الكلام محذوف، تقديره: لا أنساب بينهم يومئذ يتفخرون بها أو يتقاطعون بها، لأن الأنساب لا تنقطع يومئذ، إنما يرفع التواصل والتفخار بها.

وفي قوله: { وَلَا يَتَسَاءَلُونَ } ثلاثة أقوال.

أحدها: لا يتساءلون بالأنساب أن يترك بعضهم لبعض حقه.

والثاني: لا يسأل بعضهم بعضاً عن شأنه، لاشتغال كل واحد بنفسه.

والثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً من أي قبيل أنت، كما تفعل العرب لتعرف النسب فتعرف قدر الرجل. وما بعد هذا قد سبق تفسير [الاعراف: 8] إلى قوله: { تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ } قال الزجاج: تلفح وتنفح بمعنى واحد، إلا أن اللفح أعظم تأثيراً، والكالج: الذي قد تشمرت شفته عن أسنانه، نحو ما ترى من رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه. وقال ابن مسعود: قد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشيط بالنار.

وروى أبو عبد الله الحاكم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرتة. { أَلَمْ تَكُنْ عَائِيَّتِي تُثَلِّي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا عَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ حَسِّنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقًا مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا وَغُفِرَ لَنَا وَرَحِمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ * فَاجِدْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَبُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمْ لِيَوْمٍ بِمَا صَبَّوْا أَنَّهُمْ هُمُ لِقَائِي }
قوله تعالى: { أَلَمْ تَكُنْ } والمعنى: ويقال لهم: ألم تكن { تُثَلِّي عَلَيْكُمْ }
وَ سُلِّتْكُمْ } يعني: القرآن. { قَالُوا رَبَّنَا عَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا } قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: شقوتنا بكسر الشين من غير ألف، وقرأ عمرو ابن العاص، وأبو رزين العقيلي، وأبو رجاء العطاردي كذلك، إلا أنه بفتح الشين. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والأعمش، وحمزة، والكسائي: شقاوتنا بألف مع فتح الشين والقاف؛ وعن الحسن، وقتادة كذلك، إلا أن الشين مكسورة. قال المفسرون: أقر القوم بأن ما كتب عليهم من الشقاء منعهم الهدى.

قوله تعالى: { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا } أي: من النار. قال ابن عباس: طلبوا الرجوع إلى الدنيا { فَإِنْ عُدْنَا } أي: إلى الكفر والمعاصي.

قوله تعالى: { اخسؤوا } قال الزجاج: تباعدوا تباعد سخط، يقال: خسأت الكلب اخسؤه: إذا زجرته ليتباعد.
قوله تعالى: { فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ } أي: في رفع العذاب عنك. قال عبد الله ابن عمرو: إن أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاماً، فلا يجيبهم، ثم يقول: { إِنَّكُمْ مَكِثُونَ } [الزخرف: 77] ثم ينادون ربهم { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا } فيدعهم مثل عمر الدنيا، ثم يقول: { إِنَّكُمْ مَكِثُونَ } ثم ينادون ربهم { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا } فيدعهم مثل عمر الدنيا، ثم يرد عليهم { خَسَّوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ } فما ينيس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان، إلا الزفير والشهيق. ثم بين الذي لأجله أخسأهم بقوله: { أَنَّهُ } وقرأ ابن مسعود.

وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: أنه بفتح الهمزة { كَانَ قَرِيْقٌ مِّنْ عِبَادِي } قال ابن عباس: يريد المهاجرين، قوله تعالى: { فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ } قال الزجاج: الأجود إدغام الذال في التاء لقرب المخرجين، وإن شئت أظهرت، لأن الذال من كلمة والتاء من كلمة، وبين الذل والتاء في المخرج شيء من التباعد.

قوله تعالى: { سِخْرِيًّا } قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو حاتم عن يعقوب: سخرياً بضم السين هاهنا وفي [ص: 63]، تابعهم المفضل في [ص: 32] وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: بكسر السين في السورتين. ولم يختلف في ضم السين في الحرف الذي في [الزخرف: 32] واختار الفراء الضم، والزجاج الكسر. وهل هما بمعنى؟ فيه قولان.
أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد، قاله الخليل، وسيبويه، ومثله قول العرب، بحر لحي ولجي، وكوكب دري ودري.

والثاني: أن الكسر بمعنى الهمز، والضم بمعنى: السخرة والاستعباد، قاله أبو عبيدة، وحكاه الفراء، وهو مروى عن الحسن، وقتادة.
قال أبو علي: قراءة عن كسر أرجح من قراءة من ضم، لأنه من الهزة، والأكثر في الهزة كسر السين. قال مقاتل: كان رؤوس كفار قريش كأبي جهل وعقبة والوليد قد اتخذوا فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعمار وبلال وخباب وصهيب سخرياً يستهزئون بهم ويضحكون منهم، قوله تعالى: { حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي } أي: أنساكم الاشتغال بالاستهزاء بهم ذكري، فنسب الفعل إلى المؤمنين وإن لم يفعلوه، لأنهم كانوا السبب في وجوده، كقوله: { إِنَّهُمْ أَصْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ } [إبراهيم: 36].

قوله تعالى: { إِنِّي جَزَيْتُهُمْ لِيَوْمَ يَمَّا صَبَرُوا } أي: على أذاكم واستهزائكم { أَنَّهُمْ } قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: أنهم، بفتح

الألف. وقرأ حمزة، والكسائي: إنهم بكسرهما. فمن فتح أنهم، فالمعنى جزيتهم بصبرهم الفوز، ومن كسر إنهم، استأنف.

{ قَلَّ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * وَقُلْ رَبِّ عُوذُ بِرَحْمَتِكَ وَأَنْتَ الْرَّحِيمُ } قوله تعالى: { قَلَّ كَمْ لَبِثْتُمْ } قرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: قال كم لبثتم وهذا سؤال الله تعالى للكافرين. وفي وقته قولان. أحدهما: أنه يسألهم يوم البعث.

والثاني: بعد حصولهم في النار. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: قل كم لبثتم وفيها قولان. أحدهما: أنه خطاب لكل واحد منهم، والمعنى: قل يا أيها الكافر. والثاني: أن المعنى: قولوا، فأخرجه مخرج الأمر للواحد، والمراد الجماعة، لأن المعنى مفهوم. وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: يدغمون ثاء لبثتم، والباقون لا يدغمونها؛ فمن أدغم، فلتقارب مخرج الثاء والتاء، ومن لم يدغم، فلتباين المخرجين.

وفي المراد بالأرض قولان.

أحدهما: أنها القبور.

والثاني: الدنيا. فاحتقر القوم ما لبثوا لما عاينوا من الأهوال والعذاب فقالوا: { لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } قال الفراء: والمعنى: لا ندري كم لبثنا. وفي المراد بالعادين قولان:

أحدهما: الملائكة، قاله مجاهد.

والثاني: الحساب، قاله قتادة. وقرأ الحسن، والزهري، وأبو عمران الجوفي، وابن يعمر: العادين بنخفيف الدال.

قوله تعالى: { قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ } قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: قال إن لبثتم. وقرأ حمزة، والكسائي: قل إن لبثتم على معنى: قل أيها السائل عن لبثهم. وزعموا أن في مصحف أهل الكوفة قل في الموضعين، فقرأهما حمزة، والكسائي على ما في مصاحفهم، أي: ما لبثتم في الأرض { إِلَّا قَلِيلًا } لأن مكثهم في الأرض وإن طال، فإنه متناه، ومكثهم في النار لا يتناهى.

وفي قوله: { لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } قولان.

أحدهما: لو علمتم قدر لبثكم في الأرض.
والثاني: لم علمتم أنكم إلى الله ترجعون، فعملتم لذلك.
قوله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ} أي: أظننتم إنما {خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا} أي: للعبث؛
والعبث في اللغة: اللعب، وقيل: هو الفعل لا لغرض صحيح، {وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا
تُرْجَعُونَ} قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: لا ترجعون بضم التاء. وقرأ
حمزة، والكسائي بفتحها. {فَتَعَالَى اللَّهُ} عما يصفه به الجاهلون من الشرك
والولد، {لِمَلِكٍ} قال الخطابي: هو التام الملك الجامع لأصناف المملوكات.
وأما المالك: فهو الخالص الملك. وقد ذكرنا معنى الحق في [يونس: 32].
قوله تعالى: {رَبِّ لِعَرْشِ الْكَرِيمِ} والكريم في صفة الجماد بمعنى: الحسن.
وقرأ ابن محيصن: الكريم برفع الميم، يعني الله عز وجل.
قوله تعالى: {لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ} أي: لا حجة له به ولا دليل؛ وقال بعضهم:
معناه: فلا برهان له به.
قوله تعالى: {فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ} أي: جزاؤه عند ربه.